إجماع أهل الإيمان على كفر من قال بخلق القرآن

كتبه

عبداللطيف الرّاوي الحُسَيني

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الراوي
للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آل وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد.

فقد ظهرت نابتة سوء في هذا العصر افترت على الله الكذب، وكذبوا على سلفنا الصالح، فزعموا أنه لا إجماع على كفر من قال بخلق القرآن، فجحدوا إجماع السلف الذين أطبقوا على كفر الجهمية القائلين بخلق القرآن وكفر من لم يكفرهم أو شك في كفرهم أو توقف فيهم.

وطريقتهم في نشر هذه الضلالة: الاستدلال بأقوال المخالفين لعقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة، ومستخدمين أيضا القواعد الكلامية البدعية التي تلقفوها من أسيادهم الأشعرية الجهمية.

وهدفهم: هو الدفاع عن أسياده الأشعرية الجهمية والمجادلة عنهم.

وقد أجمع أهل السنة والجماعة وأئمة السلف على كفر من قال بخلق القرآن، ولن يخرم هذا الإجماع منحرف مهرطق ياتي في آخر الزمان.

قال الإمام اللالكائي رحمه الله: (قالوا كُلُّهم: القُرْآنُ كَلامُ اللهِ غَيرُ مَخلوقٍ، ومن قال: مخلوقٌ، فهو كافِرٌ. فهؤلاء خَمسُمائةٍ وخَمسونَ نَفسًا أو أكثَرُ من التابعينَ

وأتباعِ التَّابعين والأئمَّةِ المَرْضِيِّين سوى الصَّحابةِ الخَيِّرينَ على اختلافِ الأعصارِ ومُضِيِّ السِّنينَ والأعوامِ. وفيهم نحوٌ من مائةِ إمامٍ ممَّن أخذ النَّاسُ بقولِهم وتدَيَّنوا بمذاهِبِهم، ولو اشتَغَلْتُ بنَقلِ قَولِ المحَدِّثين لبلغَت أسماؤهم ألوفًا كثيرةً، لكنِّي اختصَرْتُ وحَذَفتُ الأسانيدَ للاختصارِ، ونَقَلْتُ عن هؤلاء عصرًا بعد عصرٍ لا يُنكِرُ عليهم مُنكِرٌ، ومن أنكر قولَهم استتابوه، أو أمَروا بقَتْلِه أو نَفْيِه أو صَلْبِه) [شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢ / ٣٤٤)].

وقال الإمام أبو حاتم الرازي وأبو زرعة الرازي رحمهما الله: (أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازا وعراقا وشاما ويمنا فكان من مذهبهم ... ومن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم كفرا ينقل عن الملة . ومن شك في كفره ممن يفهم فهو كافر) اهـ. [شرح أصول الاعتقاد للالكائي (١ / ١٩٨)].

وقال جعفر الفقيه: سألت أبا القاسم الطبراني: ما قولك -رحمك الله- فيمن يقول: إن أهل التوحيد يخرجون من النار إلا من يقول: القرآن مخلوق؟

فكتب في جوابه: من قال: "القرآن مخلوق" فهو كافر بالله العظيم بلا اختلاف بين أهل العلم والسنة؛ لأنه زعم أن الله مخلوق؛ لأن القرآن كلام الله -عز وجل- تكلم به جبريل الروح الأمين، من قال إنه مخلوق فهو كافر شرٌّ من اليهود

والنصارى وعبدة الأوثان، وليس من أهل التوحيد المخلصين الذين أدخلهم الله النار عقوبة منه لأعمال استوجبوا بها النار، فيخرجهم الله من النار برحمته وشفاعة نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- وشفاعة الشافعين، ومن زعم أن من يقول: "إن القرآن مخلوق" يخرج من النار، فهو كمن زعم أن اليهود والنصارى يخرجون من النار. اهـ. [الحجة على تارك المحجة (٢/ ٤٨٥)].

وقال الإمامُ ابنُ القيم - رحمه الله - في [مختصر الصواعق (٥٢٤)]: (فتأَمل هذه الأُخوَّة التي بين هؤلاء - يعني: الأشاعرة - وبين هؤلاء المعتزلة الذين اتفق السلف على تكفيرهم، وأنهم زادوا على المعتزلة في التعطيل) اهـ.

وقال العلامة عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن رحمه الله في [الدرر السنبة (٤ / ٤٠٨)]: (الإمامَ أحمدَ وأمثالَه مِن أهلِ العلمِ والحديثِ لا يَختلفون في تكفيرِ الجهميةِ، وأنهم ضُلَّالٌ زنادقة؛ وقد ذَكَرَ من صنَّف في السنة تكفيرَهم عن عامة أهل العلم والأثر، وعَدَّ اللالكائيُّ منهم عددًا يتعذر ذكرُهم في هذه الرسالة، وكذلك عبدُ اللهِ بنُ الإمامِ أحمد في كتاب السنة، والخلالُ في كتاب السنة، وابنُ أبي مليكة في كتاب السنة له; وإمامُ الأئمة ابنُ خزيمةَ قرر كفرهم، ونقله عن أساطين الأئمة. وقد حكى كفرَهم شمسُ الدينِ بنُ القيمِ في كافيته، عن خَمْسِمِائَةٍ من أئمةِ المسلمين وعلمائهم) اهـ.

وقال العلامة عبدالله أبا بطين رحمه الله في [الدرر السنية (٢/ ١٧٦)]:

(ومذهب السلف قاطبة: أن كلام الله غير مخلوق، وأن الله -تعالى- تكلم بالقرآن، حروفه ومعانيه، وأن الله -سبحانه وتعالى- يتكلم بصوت يسمعه من يشاء) اهـ.

وقد نقل الأئمةُ كالآجري واللالكائي والخلال وابن بطة وعبدالله بن أحمد وغيرهم المئاتَ من أقوال أئمة السلف والحديث في كفر من قال بخلق القرآن وكفر من لم يكفره أو شك في أمره، حتى إن اللالكائي نقل ذلك عن خمسمائة عالم من علماء السلف، وتقله الطبراني، وأقرهما عليه ابن القيم في نونيته، فقال:

وَلَقد تَقَلَّد كُفرُهُم خَمسُونَ فِي　　　عَشرٍ مِن العُلَمَاءِ فِي البُلدَانِ

واللالكائي الإمام حكاه عنـ...　　　ـهم بل حكاه قبله الطبراني

وهذا لا يُقال في مسألة خلافية أو ظنية، بل هي مسألة أصولية إجماعية وفاقية معلومة من الدين بالضرورة لا يجحدها إلا زنديق مارق عن الدين؛ فلا يُحكم بكفر من توقف في مسألة خلافية، وهذا معروف عند أهل العلم.

ومن ذلك **قول إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل رضي الله عنه**: (من قال: القرآن مخلوق، فهو كافر بالله العظيم، ومن لم يكفره فهو كافر) [طبقات الحنابلة (٢ / ٤٢٨)].

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: (القرآن كلام الله عز وجل؛ من قال: مخلوق. فهو كافر، ومن شك في كفره؛ فهو كافر) [السنة لعبدالله بن أحمد ٢٥]

وقال الليث بن سعد **رحمه الله**: (من قال القرآن مخلوق. فهو كافر، ومن لم يقل: هو كافر؛ فهو كافر) اهـ. [الانتصار ٢/ ٥٥٢].

وقال عبدالله بن أحمد رحمه الله: سمعت الحسن بن عيسى؛ يقول: (الجهمية، ومن يشك في كفر الجهمية؟ ومن يشك في كفر الجهمية؟) اهـ. [السنة لعبد الله بن أحمد ١٦].

وقد صرّح الإمام أحمد رحمه الله أن كفر القائل بخلق القرآن من مسائل الكفر الظاهرة:

قال الخلّال: أخبرني حرب الكرماني، قال سمعت **أبا عبدالله - يعني الإمام أحمد** - وذُكِرَ عنده كلام أُناس في القرآن أنه مخلوق. فقال: (كفر ظاهر، كفر ظاهر) اهـ. [السنة للخلال (٢/ ٦٣)].

ولم يعذر الإمام أحمد الجاهل المقلد القائل بخلق القرآن:

قال يحيى بن مندة: ثَنَا عَمِّي الإِمَامُ، أَنَا عَبْدُ اللهِ بنُ عُمَرَ الكَرْخِيُّ، أَنَا سُلَيْمَانَ بنُ أَحْمَدَ بنِ أَيُّوْبَ، ثَنَا عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدُ بنِ حَنْبَلٍ، قَالَ: سُئِلَ أَبي عَنْ رَجُلٍ وَجَبَ

عَلَيْهِ تَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ، فَكَانَ عِنْدَهُ مَمْلُوْكُ سُوْءٍ، لَقَّنَهُ أَنْ يَقُولَ بِخَلْقِ القُرآنِ؟ فَقَالَ: (لَا يُجْزِئُ عَنْهُ عِتْقُهُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمَرَهُ بِتَحْرِيْرِ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ، وَلَيْسَ هَذَا بِمُؤْمِنٍ، هَذَا كَافِرٌ) اهـ . [ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٣٠١)].

والحمد لله رب العالمين .

كتبه/ **عبداللطيف الراوي الحسيني**

٣ شعبان ١٤٤٥ هـ.